سوسن زهرة بستان الحرية

الارض والسماء متقابلان ولكنهما ليستا متوازيتان ومتساويتان في كل الاشياء بل أوجه الخلاف بينهما كثيرة، السماء بحلتها المزركشة، وكل ما يتأرئ لنا من على صفحتها المخملية تزيد وجه الارض جمالا وتألقا، فالشمس التي تضحك كل صباح لابناء الارض، توزع بسمات دفئها على كل محتاج للحنين، كل محتاج لشعاع الامل والهناء، هذه هي تكرمة السماء للقابعين خلف أسوار خصلاتها الذهبية وتلك العين القمرية الساهرة مع آهات الساهرين وصرخات غدر الايام فتستأنس بأصدقائها النجوم الوضاءة في قعر محيط سواد ثوبها فتزيد السماء جلالا، وتملا فسحة الكون بهجة وسروا، عندما تعرف الارض قيمة النجوم، تلك النجوم هي من الارض النجوم هم الناس الاكرم من في الدنيا وأنبل بني البشر، إنهم الشهداء اختاروا السماء ليعيشوا خالدين بحرية وسلام.

السماء ترى كل شيء على وجه الارض ولا تختار إلا النبيل والجميل ولا تتزين إلا بأجمل الازهار، ولا تقطف الازهار إلا من أعظم الحدائق ومعظم أزهارها من حدائق الحرية، زهرة قطفها السماء من بستان الحرية لتهديها الى الجنة، إنها الشهيدة سون التي ما تزال صورتها ماثلة أمام عيني لا تفارق مخيلتي، ليس بالمستطاع نسيان اجمل زهرة، وأعز إنسانة، كنت أحبها وما زلت بحبها أكبر، لا تغادر مخيلتي قامتها الهيفاء، شهرها الذهبي كخيوط اشعة الشمس الطويلة، خفة حركاتها المتأرجحة كسنابل القمح الحزينة، تهز براسها مع الهواء وكأنها أمواج بحر هائج.

لا يفارقني وجهها الطفولي البريء براءة الشمس ويخضور الربيع، وجهها القمري، وكانها لوحة رسمت ملامحها دون ان تمسها الايادي، أو تخطها فرشاة ألوان عيناها في هذه اللوحة وواسعتان صافيتان مثل السماء المليء بالغيوم، غيوم الألم والحزب والمأساة تجمع هذه الغيوم في سماء عيناها ثم تنزل دموعها مطرا غزيرا، ومن جهة أخرى اذا نظرت في عيناها لتراء لك بأنهما بحيرتان، وجبينها العالي كأنه شاطئ من الرمل واسع يعلو على مياه البحر عندما تقوم العاصفة القلبية تضرب أمواج هذه البحيرتان الشاطئ الرملي فيتجاعد الجبين غضبا فيه هبة وجسارة.

وجهها لوحة ملامحها طبيعية مرسومة بفن واتقان فيها ملايين التعابير، وكل الجماليات اجتمعت لتكون لوحة من أجمل اللوحات، لا أنسى حركاتها الرشيقة حيوتها، نشاطها، ضحكتها العالية، صوت الشجي كأرق الالحان تتخللها نبرات فرح وحزن بأن واحد، اسلوب حديثها

الهاوي، كنا أراها دائما منشغلة في التفكير كانت تحب الفن تحب الغناء بشكل خاص، تحب التعامل مع كل من يعرف الفن جميلة، طموحة ذات المبدأ، محبة للخير، واختارت لتكون رمزا لكل هذا، مازلت أتحسس لمساتها الناعمة وصدرها الدافئ المعطر بأريج الازهار.
سوسن عاشقة النجوم، التي كانت تقضي ساعات تشبع عيناها بجمال النجوم فتقول دائما:" يا ليتني كنت نجمة لامعة كهذه النجوم". وقد تحقق ما كانت تتمناه، فارتقت عرش السماء، غدت زهرة خالة ابدية في حديقة الحرية غدت نجمة أو حمامة من حمامات السلام ترمزت ترفرف بكل حرية واطلاق حول أمرالي وتغني.

رفاق الدرب
صادر في مجلة صوت الحياة العدد 16 لعام 2002
الصفحة 59